سيمياء الاستدلال المؤجل في القصص القرآني
(سورة يوسف عليه السلام أنموذجا)

الأستاذ المساعد الدكتور
ناصر شاكر الاسدي
كلية الآداب / جامعة البصرة

المقدمة:

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ يوسف:3، للقصص القرآني استدلالاته المؤجلة بفعل عوامل الحركة التوافقية التي تتزامن مع الحدث السردي ومجرياته في ظل حركة الفاعل الذات التي تتجسد على مساحات القصة القرآنية، وهي تتنامى لاستقراء المشاهد الفاعلة وتكويناتها المركزية. والدلالات المؤجلة هي دلالات مشحونة بالحركة الفاعلة وهي في قيد ذروتها القادمة حين تتسم بعد ذلك بدينامية التوكيد لظواهر ستراتيجية لذلك الفيض من المعاني التي التي تعمل على التوافق بين الحدث والحركة. ونحن إزاء النص القرآني نقوم برصد حركة تلك الاستدلالات من منظور النقد الحديث وخاصة السيمياء الحديثة التي تعنى في أهم توجهاتها أنها تدرس الظاهرة الكونية بما تمتلك من علامات وإشارات تصدر نوعا من الخطابات الموجهة في حيز الحركة الإنساني، في ظل الحركة التي تتمحور في الأمكنة الدلالية وفيوضات الانزياح لدى المكان زمانيا وتراتبيا. وما نرصده في ظل الصور القرآنية هو الحركة التكوينية لسرد القصص ومدى الفاعلية التي تنتج عنه.والاستدلال العام إنما

هو ارتقاء لحركة الفاعل الذات بين التأويل والتأجيل كون التأويل يعمل على رصد الاستدلال المؤجل في سيرورة القصص القرآني.والتأويل عملية ارتقاء في حركة النص القصصي لما لها من اهمية تتشكل من خلالها الصور اللاحقة وهي تنبعث بفاعليتها نحو الاستدلال المؤجل. والتأجيل فضاءات تتزامن مع الشكل والنسيج لسيرورة القصة في القران الكريم وتفاعلات سرودها المتجددة على وفق مرحلة الإعجاز لأنها تمثلات سردية فائقة القدرة والتوظيف وهي تعيش الحدث المتجدد في كل انتقالاته من اصغر درجات الحركة إلى أكبرها وصولا إلى عملية الانبعاث والتوافق في نسق القصص وسرودها المتحققة. وفي سورة يوسف (ع) يتجلى السرد القصصي من خلال فاعلية السيمياء وهي تبحث عن الدلائل المؤجلة التي تتوافر على جملة من التأويلات المركزية التي عمقها الحلم المركزي الذي بموجبه دارت القصة وسرودها بفلكه. وفي بحثنا هذا كان الاشتغال سيميائيا من خلال المقتربات الآتية ضمن المطالب الآتية:

المطلب الاول:

الاستدلال المؤجل ورصد ظواهر السرد القرآني.

تتجلى حالات الاستدلال المؤجل من خلال جملة من الظواهر البارزة في ملامح القصص القرآني، لعروجها المتعالي ضمن مدركات الصورة التأويلية وتأكيدا على ثوابت الإعجاز ورفد المتلقي بأكثر من وجه من أوجه البيان والخطاب كونهما يشكلان العصب الرئيس في سيرورة القصة وتناميها لتصل إلى أكثر من ذروة وأكثر من تجل وارتقاء. و يمكننا إزاء ذلك القيام برصد تلك الظواهر من خلال السرد القرآني الذي يعد في مجمل حركته الفاعلة في تمام الجمال والسبك والتكامل، ومن خلاله أيضا يمكننا سبر تلك التكاملات السردية وكشف الفواعل الذاتية التي هيمنت على السرد وشكلت وظائفه الارتكازية.

ومنذ الوهلة الأولى نقف متأملين حركة السرد القصصي في سورة يوسف (ع) كونها تشكل منطلقا يتصاعد السرد بموجبه نحو أكثر التشكلات الموضوعية حساسية لأنها ترتبط ضمنا بالوظائف الارتكازية التي يتمفصل من خلالها سرد القصة شكلا وجوهرا. ومن حالات الاستدلال ندرك الملامح الأولى للسورة الكريمة حين تشير بآيتها التي تدلل على أولى العتبات النصية (إذ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (يوسف:4) التي من خلالها ندرك النمط الأكثر حراكا وفعالية حين يعلن الفاعل الذات المركزي نوعا من الاستدلال لمجمل الأحداث التي ستقع ضمن التوجس العميق الذي أبدته الصورة الاستدلالية بفعل الرؤيا التي جاءت انزياحا لتأويل الحدث، قال النبي يعقوب (ع) لابنه (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (يوسف:5) وهذا في مجمل استدلاله يعد إحاطة وهو مايطلق عليه بالاستدلال الاحاطي الذي تتمفصل من خلاله تأويلات واستدلالات قادمة وهو يشكل المحور الأساس في عملية التدرج الاستقرائي التي نرصد بموجبها ظواهر السرد وصولا لأعلى نقطة في محيط الحدث، وانسجاما مع خصائص التكوينات القصصية المشكلة للسورة الكريمة. تلك الظواهر تأخذك إلى عالم السرد بتأثيراته وصوره التي تشكل البؤرة الرئيسة لسرود متتالية ومتكاملة القيمة في التوظيف الدلالي إذ أن النص القصصي القرآني يشير إلى ((بناء قصصي محتمل يمكن أن تتصور حدوده المقبلة من خلال صيغة الخلق ذاتها، فالأمر يتعلق بصياغة قصة تتحدد من خلال غايتها لا من خلال حدودها البدئية)) [1] وذلك ما نطلق عليه الاستدلال المؤجل كونه يعد نقطة انطلاق ذاتية تتمفصل في حراك ثنائي في منظوره النسقي والسردي. إن مظاهر السرد تتجلى في حركة الانطلاق المحورية التي تتشكل ملامحها في سورة يوسف (ع) التي تبنت نوعا من السرد القصصي بما يضمن التوالي العددي المتكافئ للبؤر والأمكنة الدالة على الحدث الذي يولد حراكا فعليا على جغرافيا البعد الإنساني. (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا

تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) (يوسف:10) وهذا أول الحراك الاستقرائي للكشف عن الاستدلالات لان الفاعل الذات وبفعل توافر المعوقات المباشرة وغير المباشرة التي تموضعت معه ودخول معوق مفاجئ ينجح بتغيير مسار القتل والإعاقة إلى نوع من الإبعاد ظنا منه أنها كافية على اقل تقدير لان يخلو اهتمام الأب بأبنائه الذين أرادوا إزاحة البطل نهائيا قالوا (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) (يوسف:9) وهذا الفعل يندرج ضمن الرغبة في إزاحة الفاعل الذات وتسليط الضوء على فواعل ذاتية أخرى ولا يستبعد الاستدلال المؤجل من لدن من قال ألقوه في الجب وان كان الغرض مشابه لعملية التخلص لكنها تتفادى الإيغال في الجريمة وسفك دماء بدليل الاستعاضة عن ذلك بتلطيخ ثياب يوسف بدم بديل كون القتل لم يتحقق فعلا والمعوق لعملية القتل قد ساق أملا للمتلقي حينما قرن الإلقاء في الجب مع الأمل بالالتقاط وهذه نكتة جميلة في النص القرآني يتجدد للقارئ من خلالها الأمل في العثور على فرصة جديدة لمتابعة البطل وهذا النوع من الاستدلالات تقوم القصة القرآنية بالاتكاء عليه حين تجسد سرودها القادمة لان البحث ((في الدلالة اللغوية يعين لنا دلالات الألفاظ حتى يصبح ذهننا قادرا على الانتقال إلى الصورة الذهنية المناسبة لكل لفظ موضوع بعد العلم بوضعه عند سماعها)) [2] وتلك المحددات أو العناصر المكونة لكل ظاهرة إنما تعد منطلقا للسيرورة الفعلية كما أنها ((ليست محددة في ذاتها، بل من خلال ممكناتها التي لايمكن أن تتحقق فعليا إلا داخل سيرورة تركيبية يستوعب الخطاب المتحقق حدودها)) [3] والاستقراء في صيغته يتعالق مع تمثلات النص القرآني ويحدد من خلالها الوجهة الممكنة لراهنية التوقف والاستمرار والبحث عن كل الملامح التي ترتبط مع السرد بدلالاتها اللغوية والحركية.

إن التوظيف الدلالي يتمحور في ظل الدوائر المترابطة في جسد الشكل القصصي واليات تحركه ضمن حدود استقرائية تتجاوز النسق الخاص إلى

العام بفعل البؤر التي تظهر في النص بشكلها التلقائي (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) (يوسف:13) وهذا استدلال يتجاوز النسق الخاص إلى العام في ظل الكشف الخاص لدى النبي يعقوب (ع) لأنه كان يمثل القدرة على كشف القادم الذي أزاح الستار عن المعادل الرمزي ألا وهو الذئب الذي من خلاله سيرتب أخوة يوسف بؤرهم السردية عليه وهو من سيقوم بعملية الإقصاء الافتراضية للفاعل الذات يوسف (ع) فالذئب باستقراءات يعقوب ع عائقا من جانبين الأول عائق فعلي لأن الذئب قد يأكل يوسف والثاني يذهب بان الذئاب البشرية قد تدبر قتلا وتنسبه للذئب وهم في كلا الحالتين قد غيبوا يوسف لكن على حساب براءة الذئب، أما دلالة (مالك لاتأمنا) (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) (يوسف:11) وهذا استدلال مؤجل لان الأبناء يدركون أن أباهم لاياتمنهم على يوسف وإقرارهم إنما جاء بالقرينة على مخاوف أبيهم. وهذا يقع ضمن القرائن المؤجلة لان الذهن ينصرف الى ماهو أبعد للحدث الذي يؤكد العلاقة بين البيولوجيا والسيميوطيقا لأن ((الدماغ هو الذي ينتج الأشياء العقلية ويستهلكها ويتطور تحت تأثير المحيط ليتكيف معه فتتطور لغته، وان البيولوجي والثقافي متداخلان)) [4] وهذا يندرج ضمن مجموعة ارتكازات توافقية تشتغل على الحدث وارتهانا بالترتيب الحركي المنسجم في توظيف الاستقراء وكل في خانته الشعورية (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (يوسف:15) وانسجاما مع الترتيب السردي للحدث كان الجانب التكميلي لخطاب مالك لا تأمنا على يوسف وبعد حوار الأخوة يتصدى احد الأخوة المعارضين إلى نمط آخر من التغييب قد يؤدي ذات المهمة ليخلو لهم وجه أبيهم، إذ يجمعون بان يكون التغييب في داخل الجب وهي إعاقة مضمرة من لدن أخيه الذي يرى أن فرصة النجاة من البئر اكبر مما لو أنهم قتلوه، والمتغير كائن كون القتل الصريح لن يتحقق والإيحاء بما سيؤول إليه مصير البطل بقرينة (لتنبئنهم بأمرهم هذا)

استدلال مؤجل لما سيحدث من تطورات السرد القصصي لاحقا، وهذه الحكاية المتبلورة داخل القصة القرآنية ((تشير إلى بناء قصصي محتمل يمكن ان نتصور حدوده المقبلة من خلال صيغة الخلق ذاتها))[5] وهذا هو الانطلاق الفعلي لحركة السرد الذي نطلق عليه بالحالة الاستهلالية التي ((تحدد نقطة انطلاق عرضية ضمن متصل حياتي يشمل على حدود قيمية ثنائية)) [6] والنص القرآني هنا يرسم أبعاد السرد بثنائيات غاية في الدقة تتشكل من خلالها البؤر المتتالية ضمن حدود الاستقراء وفي حدود الإعجاز القرآني التي تقوم بتصوير الحدث بالقدرة الخلقية والغيبية لسيرورات السرد وذلك يندرج ضمن إطار التكثيف للصورة السردية حين تتجلى أمام الحدث البؤر الممكنة التي تتوالى ضمن النسق العام لحركة السرد القصصي في القران الكريم ، وذلك نابع من المتواليات النصية المكونة للسرد القصصي (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) (يوسف:41)، إنه اشتغال سردي سيكون مكملا لحركة النص وانهماما باتساق الحدث القادم الذي يتبعه النص القرآني، وبهذا الاستقراء تتفرع زوايا الاتجاه في أسلوب القصة وتتشعب الاتجاهات البؤرية وصولا للتكامل في المراحل جميعها وهي ((وإن كان استثمارها الدلالي الكامل لايجري إلا بمواكبة القص، أو لم يفصل إلا من طرف المحلل)) [7]وهي انما تتمظهر على أسس الاستدراك في عموم الفعل السيميائي شرائطه الحيثية ليتفاعل مع مجموعة من النظم الرابطة للسيموز المحرك والناقل للحركة ذاتها، وهو يعد منطلقا شعوريا للذات ورسما لإطار تواجدها الموضوعي، وهذا ما أكد عليه كريماس بفعله السيميائي عندما قسم مساحات الفعل من الحركي والشعوري إلى الموضوعي والذاتي ضمن مربع سيمياء يتكئ على فلسفة بورس في إطار فواعل ارتدادية للفعل وتمفصلات نصية مقسمة على البؤر المتداخلة والمترابطة في كل حركاتها الانفعالية وصولا إلى الحركة المهيمنة للنص والتي تتجلى علامات سكونها في قدرتها الكامنة بعيدا عن السطح والشكل

الانفعاليين(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) (يوسف: 42) إن الفاعل الذات وفي سياق الاستدلال المؤجل يترك الفواعل الأخرى متعلقة بالحدث القادم رغم علمه بوجود معوقات تمنع من تواجد الحدث واستكمال نتائجه لكن ذلك يؤخر الاستقراء إلى بضع سنين قادمة يتم من خلالها طرح أفكار متعلقة بالحدث القادم وربط حركته في تفاعل البؤر من داخل السجن لإنتاج حراك في الداخل مع متابعة الفكرة التي قدحت في ذهن المتلقي الذي أدركته الذاكرة بفعل ظهور فعل محفز أعاد له ذاكرة الحدث القديم (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) (يوسف:45) والحدث يعود لدائرة الضوء حين تدرك الساقي الذاكرة يطلب على الفور إرساله إلى حيث مكان السجن الذي وقعت فيه لان المعجز الذي حصل يترتب عليه خوض تجربة التذكر بعد نسيان طويل، فحافز تراكم الرؤيا لدا الملك حفز الساقي واعاد له القدرة في تذكرالفاعل الذات الأصلي الذي سيقوم لاحقا بقيادة الأحداث تصاعديا وصولا للقمة في حراك تراتبي بل هو نوع من((الاتجاه التواصلي إلي يشدد على وظائف العلاقة التواصلية التي تربط المفهوم وصورته السمعية المتحققة من خلال الصوت إضافة إلى تأكيده حقيقة العلاقة الاجتماعية))[8].

المطلب الثاني:

الأمكنة الدلالية وحركة الانزياح النصي:

يعد التوافق بين الأمكنة المتحركة نوعا من الارتقاء الفواعلي وتوليد مناصات فاعلة في سيرورة القص القرآني، إذ تتمفصل تلك المنطلقات في ذروة العتبات الرئيسة للأمكنة الموطأة لحراك متفاعل يدفعنا إلى التدقيق في ملامح الأمكنة الواجب توافرها والأمكنة المفترضة القريبة منها والبعيدة، المجاورة منها

والمتراكمة إنما هو انهمام ذاتي في عمق العلاقة الحيثية بين أماكن الانطلاق من جهة ومناطق الوسط البؤري من جهة أخرى. ولأن الأمكنة السيميائية التي نعدها انطلاقات تكوينية للملامح القادمة كونها تمهد للفاعل الذات في مراحل القادمة، و من خلال تقصينا لأول تلك الأمكنة المدللة على البؤر المتتالية الكامنة في الحدث القصصي الذي جاء في الآية الكريمة (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (يوسف: 15) والجب أول الأماكن التي افترض أخوة يوسف إدراجها في سجل عامل التغييب للبطل يوسف على اقل تقدير إذ ان مصير البطل وبفعل عوامل المعوق الداخل في قرار الأخوة سيكون على اقل تقدير مكانا غير أليف بما ينطوي عليه من مخاطر الضيق والموت، لكن الجب كان مكانا مهما للبطل الذي تتعهده السماء بالإنقاذ إذ أن الجب سيكون منطلقا أوليا لرحلة البحث عن الأهداف اللاحقة وهو ((يشكل دلالة المكابدة والحياة المرعبة كون البئر يمتلك من الانطواء والظلام مايجعله رمزا للضيق والخوف والهروب والموت)) [9] وعلى وفق الأمكنة القرآنية بما تحتوي من انزياحات للحركة تتبلور ضمن النسق العام المتشكل وفق الوظائف النسقية للحكاية من مجمل اتجاهات الحدث وتكويناته المحورية التي بموجبها يتمفصل المكان بعوامل الحركة ليخلق لنا مكانا مرادفا نفهمه من حركة المعادل الموضوعي الذي جسده الدلو الملازم للجب وهو شعور الارتباط الواعي لخبايا الجب (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (يوسف:19) والقرين في الآية في اعلاه يجسد اشتراكهما في عملية التغيير لنمطية المكان لإيجاد سبيل آخر لمكان آخر عبر الاكتشاف بإدلاء الدلو الذي عده الوارد كسبا وبضاعة،وهي دلالات محورية تدلل على حرفية بيع الإنسان رقيقا وذلك يعد وصفا يشكل صورة المكان الذي يتمفصل من خلال التحرك الزمني وهو مجال مكاني تجري به الأحداث، وما تصوير المكان إلا هندسة حقيقية بقياس الفضاءات الواقعية على محيط النص السردي [10]. تلك

الفضاءات تتوالد بدورها لتشكب حجر الأساس للفضاء الذي سيحل محله على أعتاب نصوص موضحة للحدث السردي في تحركاته، وهذا مايطلق عليه بالاندراج التوافقي لصور الحركة الزمانية واعتماد مبدأ التراكم لنشوء البؤر السردية وضمن سياقات الحدث نفسه إذ ((تشكل الأمكنة الكبرى أقطابا مهمة في تكوين الإطار المكاني كونها تعد كأرضية تقع فيها الوقائع المختلفة)) [11] وتلك بؤر ارتكازية لا يشترط أن تكون افتراضية لان الغاية من ((كل بناء هي الإحالة على كون أو أكوان أو على الأكوان الدلالية الممكنة كلها)) [12] ثمة أمكنة يتعارض وجودها مع الحميمية لأنها تشكل منعرجا لنهايات حتمية نأخذها من السياق والصورة اللتين تعمقان شعورا بخوف قادم (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) (يوسف: 17) فالآية السابعة عشرة تشي بأكثر من معنى، الأول وبعد تصنع البكاء في الآية السادسة عشرة (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ)(يوسف:16) قالوا بصيغة الجمع، إنهم اجتمعوا على أمر محدد، إنا جميعا نستبق والكثرة برمتها ذهبت وهذا الاستباق تأكيد على تحرك المكان، تركنا على الأرض ما يستوجب غياب الكل عن يوسف لتكتمل الصورة بان الخلوة بمكان فسيح كالصحراء موجب بالإيحاء أن الذئب ستقع عليه نظرية المؤامرة والاتهام كونه يمتلك الفرادة في موروث الصحراء بأنه موغل في الأكل ولأن نكتة الأكل لاتبقي أثرا ليوسف (ع)، فذهبنا فعل الترك الجمعي ونستبق فعل الابتعاد الكيدي وتركنا فعل التوهم الذي ابتدعوه، فأكله الذئب خاتمة لتصور البناء في تغييب أخيهم يوسف، والأفعال أعلاه هي أفعال تمتلك فضاءات دالة على الحدث الذي تحتم على المتلقي أن يستنتج ما هو قادم وهذا نوع من التغيير بملامح الفعل ليحل آخر مكانه لنبدأ بتحسس الأثر وقد يتم ذلك ((بحركة عكسية بأن نبدأ من الأثر المحدث فنغيره لنفحص مدى تجاوب الكلمات مع الأثر البديل)) [13] والذهاب تحرك في المكان إلى المكان بفضائه المفتوح بوصفه مكانا معاديا على قرينة ان الترك مقترن بهاجس الذئب الذي كان البديل،

والمكان المتروك هو انفراد وذلك يعني ان الخوف لا ياتي الا متزامنا معه ، وقد تكرر مشهد الانفراد المكاني حينما القوا البطل في غيابة الجب ليواجه المصير وحده ثم يتحرك المكان الضيق إلى حركة انزياح من خلال الفعل المساعد الذي تحرك باتجاه الفاعل الذات ليحصل واقع الانفراج والتغيير.(وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (يوسف:19) هنا يتحرك الدلو في المكان إذ يعد الدلو منقذا ليقوم بنقل البطل بعد ذلك للسيارة، وهذا سياق إجرائي يعمل على مفارقة المكان الموحش إلى مكان آخر أكثر فسحة في خضم انطلاق السيارات الصحراوية المتعطشة للماء وهي أولى الشحنات المكانية التي تتموضع في حركة السرد وهي شحنة الفضاء القديم وما جاورها من سطوة السلطة والهيمنة التي تستمد أصولها من الروح الأسطورية التي تمردت يوما وهي تنزاح عبر التوالد الزمني والحكائي والثانية كما يعبر عنها ياسين النصير بشحنة الموقع التي تستمر ملامحها من حركة الفاعل الذي يشغلها ويؤسس لمفصلاتها السردية وأخرها هي شحنة المكان وحدود فعلها تكون اقل لأنها من ملامح أفعال البشر[14] ، ثم يتطور انزياح المكان نحو ارتقاء آخر يأخذنا إلى ذات المكان عروجا من الموقع المشحون إلى البداية المكونة لبؤرة الحدث واستمكانا على المكان الأرضي (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (يوسف:21) هو ذلك المكان الذي يوطد العلاقة المصيرية بالمكان ويجسد الأحداث القادمة إليه، ومن خلال الفعل (مكنا) تتوطد العلاقة مع المكان لإقامة الحراك الفعلي واستدامة الفواعل الأخرى التي ترفد حركة القصص القرآني، والتمكين جاء بفعل حركة وجود الفضاء الأرضي المساعد للتمكين إذ أن الفعل أكرمي دلالة المكوث الفعلي الذي سيشهد الأحداث اللاحقة للأمكنة المتفرعة عنه وبانزياح منه (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ

مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)(يوسف:23) والفعل راود فعل حركي مصحوب بحركة الجذب والانكفاء متعلق بأرض محايدة حميمية ألا وهي البيت وكذلك المثوى أكثر حالات الحميمية وهي التي سلط عليها الضوء للاشتغال من مرحلة المكان الحميم إلى المكان المعادي ومن خلال وصف نادر للمكان الذي يقوم المتلقي بتصوره بأنه ذو بوابات متعددة عند مرور الفعل غلقت الأبواب وهو انقطاع عن الفضاء الخارجي لنجاح حركة ما في زمن ما ومكان معين لان العلاقة هي ((بين وصف المكان والدلالة (أو المعنى) ليست دائما علاقة تبعية وخضوع، فالمكان ليس مسطحا أملسا، أو بمعنى آخر ليس محايدا أو عاريا من آية دلالة محددة)) [15] والانزياح النصي يتمفصل عبر بوابة المواقع المتكونة التي تتكون منها أمكنة سيميائية إذ يتشكل عنها التوالد الموضوعي للحدث واشتغالاته المركزية، و المكان لايسعى للتجديد إلا باعتباره كون له مطابق وله أوان يتوالد ذاتيا لأمكنة لاحقة مسبوقة بدلالة الحدث قبل وقوعه (قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ)(يوسف:32) وهو توظيف أولي لملامح انطلاق مكاني يعبر عن انزياح أولي يقوم به الفاعل الذات الرافض للانصياع بلغة الرفض والتحدي وهي دلالة تستقري معها تلك الملامح بتأكيد الآية التالية (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (يوسف: 33) إذ يمر الفاعل بمرحلة الاختيار بين التهديد والتنفيذ واختيار السجن كأفضل بديل.

وهذا الارتقاء في تصور المكان المعادي بديلا ناجحا عن الفضاء المفتوح وهو تبادل محوري يكون الفرع أساسا لحركة الأصل والجوهر بل أن شموخ الفرع الناشئ عن واجبات الرفض المنطقي للأشياء يؤثر تأثيرا دلاليا لتبدل الأدوار في أمكنتها الستراتيجية وخلق أمكنة يتمفصل من خلالها وجود آخر يمتلك وظيفة أخرى لان المكان ((يساهم في خلق المعنى)) [16] و تلك هي الرؤية الحقيقية للمكان والزمان التي ((تتولد بمركزية الرغبة التي تمنحنا تطلعا

نحو الأفق المجهول المتعدد والآخر المتوجس ثم تبدأ مرحلة من مراحل الصراع المحتم بين المجهول والمعلوم)) [17] والمكان في إطار التفاصيل وفي محاولة أخرى للتحرك من راهنية المكان وخاصة ملامح سجن ستتوافر فيه ضمانات الحركة الفاعلة مع تجدد الرغبة لكن قرينة النسيان تؤجل عملية الانطلاق إلى الأمكنة الفاعلة (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ)(يوسف:42) ذلك النسيان وبفعل حركة الخارج وصخب الحياة في ظل قصر للملك راح الساقي في غمرة العمل ولولا ظهور حالة الحلم الذي ارق الملك لما تذكر (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)(يوسف:45) والتأويل توجه إلى السجن حيث سيمكث يوسف وهي عودة جديدة إلى السجن الذي من خلاله إيجاد مفتاح لرموز حلم الملك على يد يوسف. إن الانزياحات تتوالى في حركة النص الذي يصور لنا الأمكنة وما تتصف به من ملامح بؤرية فاعلة في تحديد حركة السرد بفضاءات وأمكنة لاحقة وتوصيف دلالاتها المتموضعة معه، والأمكنة السيميائية تعلن عن مواقعها الافتراضية وهذا في حدود الميتافيزيقيا العليا ياخذ المعنى شكلا مغايرا ويعد في حد ذاته إنتاجا لاحدود له، وهي مرجعيات متعالية تكون علاقتها قائمة بين ((الشيء الذي يعيد إنتاجه من جهة، وبين المفهوم الذي يحيل عليه الشيء وبين الكلمة التي تمنحنا مفتاح هذا التوسط من جهة ثانية)) [18].

المطلب الثالث:

تكوينات السرد في القصص القرآني:

يتجلى السرد القرآني بنوع من الحركة التكوينية التي تهيمن على النص بوصفه فاعلية قصوى لتراكم الصور وتجانس الأدوار وتزاحم البؤر في كل مشهد من المشاهد الدالة التي تتجسد بحراكها ضمن حدود سيموز الحركة

وتنظيم الاتجاه الدلالي باتجاهاته المختلفة.والحركة في السرد القرآني تتموضع في ظل التشكل البؤري الذي يتحرك بفعل التماسك اللغوي والقيمي للآيات القرآنية المكونة لسرود القصص, وانطلاقا منها تأخذنا الدلالة مأخذا محوريا حينما تنسجم مع الإطارالعام لظاهرة الاستقراء في تكوينات الحدث و انزياحه في المكان والزمان المعينين.وتلك مواجهة حركية يمكنها أن ((تكون تنازعية أو تبادلية وتتمظهر تارة في قتال، وتارة في تبادل، وهو تمييز يسمح بالتعرف على تصورين للعلاقات البينية الإنسانية)) [19] والسرد القرآني يمتلك الدلالة التكوينية لان البنية المكونة لسيمياء الكون الداخلة في حركة القص القرآني تعد ((لاتناظرية،يجد اللاتناظر تعبيرا له في اتجاهات الترجمة الداخلية التي تجعل كثافة سيمياء الكون قابلة للاختراق)) [20] وهذا من مداليل الاعجاز السردي الذي تقف اللغة عاجزة ومكتفية بذاتها قبالة الانزياح اللغوي والتكاملي في القران الكريم (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ)(يوسف:47) وتلك إحدى عجائب السرد القرآني إذ تتمثل في تقنية التكثيف الصوري، وانتقال ذهنية المتلقي إلى حركة بعيدة المدى من خلال التفصيل الزمني وفي الآية سبعة أعوام حركية تتوافق مع سرود مترابطة مع نوعيات البؤر الساردة المكونة لها.إذ ينصرف الذهن من الرقم سبعة إلى رقم سبعة آخر (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ)(يوسف:48) وهذا الترابط مابين السرد الأول والثاني إنما هو ديمومة حركية تتجسد عبر منقول لفظي لكنه واقع ارضي ثابت ومتطور في ذاته لتشكيل حركة رافدة له (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)(يوسف:49) وتلك انساق متتابعة تستغرق زمنا مكثفا لحدوث سرودها وتتابع أحداثها وهي ممكنات تكوينية بوظائف دالة من المحور إلى أطرافه ومن الأطراف إلى قلب الحدث مكونة نسيجا مهما يعتمد على استجلاء العلو والكمال ، وهو نوع من المستويات الإجرائية التي تعتمدها القصة القرآنية وكما عبر عنها كريماس حينما ميز بين المستوى القار للقصة

والمستوى الآخر من ظاهر النص إلى مجرد فكرة نسقية ترى الملفوظات الصريحة ملتزمة بمستويات ضمنية من اللغة وتمفصلاتها المشتركة [21] والحركة التكوينية تتشكل بنظام الدوائر المتداخلة في كون تتحرك فيه الأقطاب لتوليد طاقة فاعلة يتبنى المشهد السردي ولوجها في بوابات الطرح الذاتي لموصلات التكوين الناتج عنها أكثر الرموز المدللة على نشوء الحدث قبل تفاعل الانطباعات بوقت مبكر.(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)(يوسف:56) وهنا يصل السرد القصصي ذروته إذ يربط البدايات الأولى بالأحداث، والربط بين بؤرة الحدث الآني متعلقا بمسببات هذا السرد التي تتمظهر في ارتقاء الحركة الذاتية التي قام بها أخوة يوسف حين عادوا للظهور من جديد في تتابع الأحداث، عادوا للشكل القديم لكن بصورة الانكسار الذاتي (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)(يوسف:58) إذ يصل السرد قمة انفعالاته التكوينية حين يؤطر للحكايات إطارها العام والخاص والاشتغال على سياق الفعل القديم عندما قالوا: (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ)(يوسف:9) وهذا ضمن التدرج المرحلي والزمني مأخوذا بعنصر التبدلات المركزية للحدث ونشوء التغيير الانفعالي والحركي من لدن الفاعلين المؤثرين. وهذا يعد نوعا من أنواع الإرجاء الذي تتحقق دلالته الكاملة ((إلا إذا كان عنصر الحضور مجسدا، فيصير الحضور(حاضرا))) [22] وهذا الحضور الذي يعمل على إرجاء الحدث وتوليف النص لأنه يعد ارتكازا أوليا لمرتكزات فاعلة تكوينية تنتظم تلقائيا في سرود انبعاثية قد تكون دلالاتها غير مرئية وهذه ((الدلالة غير المرئية هي التي تشكل قانون العلاقة الرمزي)) [23] في حين يتمفصل التأويل والتحليل ضمن الإطار العام للسياق التواصلي الذي يكون ((جزءا من الموضوع الدينامي، وذلك لأنه يفرض بالضرورة في كل عملية إنتاج أو تلف العودة إلى الاولانية التي تحظر كل نوعيات أساس الدليل)) [24] إذ أن المشهد القصصي في تمثلاته السردية يحظى بأهمية التماثل

والتبادل في بيان أنماط البؤر الدالة على نشوء الحركة التصويرية للحدث ضمن أسس التكوين والتجديد في سيرورة غير انفعالية (فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(يوسف:63) إنها عودة تراجعية للسرد وممارسة نفس الضغوط التي بدأت بفواعل السرد في البداية التي كانت في (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ)(يوسف:11) إذ أن المحورالاول كان الشروع بالقتل والمحور الثاني هو عملية الاقناع للنبي يعقوب عليه السلام لكن بمسوغات أخرى مختلفة كون الشخص المطلوب هو اخو يوسف وهذا سيشكل عند يعقوب النبي هما اخر. وعلى الرغم من ذلك فان التزييف لايمكن أن يلحق بالخطوة السردية الثانية لان محورا البؤرتين يتمفصلان في عملية التأسيس للسرود القادمة وإعادة المؤثر البؤري القديم والحاقه بالجديد وهذه وظيفة تكوينية من وظائف السرد القرآني وهذا ما يعبر عنه بالاستباق الزمني بحيث ((يتعرف القارئ إلى وقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي في زمن القصة)) [25] وهي اشارة تكوينية قد تكون ((استرجاعا لأحداث ماضية أو تكون استباقا لأحداث لاحقة)) [26] وهذا النمط يدفعنا للقول: بان المفارقات والمفصلات السردية تكون لها مديات صورية منظورة واتساع في الرؤيا ضمن مجال الحركة البؤرية ومدى كل مفارقة هو مجال فاصل بين زاوية التقاطع السردي وبداية التمظهر المسترجع والمتوقع لحيثيات حاضرة و غائبة في سياق الفعل السيميائي الذي يتعامد مع حركة السرد (قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ)(يوسف:66) عودة لذي بدء يتكرر مشهد الاقناع ليعقوب النبي في الموافقة على إرسال ابنه الآخر اكتمالا للنص وهو طلب عسير عليه الآن لفقدان الاول الذي ترك شرخا في العلاقة الاعتباطية، وهنا يرتقي السرد الى قمة انفعالاته وتكويناته وصولا لمرحلة الفقد الثانية (ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ)(يوسف:81) فهي مطابقة لذات

التكوين والتسريع لأحداث القصة الأولى (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)(يوسف:17) وهذا السابق يعد منطلقا للاحق بذات الرابط وبذات النداء, وهو عنصر تكميلي لحركة الذات الفاعلة وارتكازا على ثلة من المحاور المنشطة لحركة السرد، وسبب العجز الكلي لدا المعوقين ينبع من الحجج الباهتة التي طرحت وجوبهت بالتكذيب لكن المكنونات اللفظية تجابه بحركة التسليم للارادة الكونية محيلا الخلل بذات النفس وتداعيات تخبطها (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)(يوسف:83) وهذا استدلال جديد في حركة السرد الإجمالي والتحاق ثالث رفض العودة (فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)(يوسف:80) وذلك بيان وإقرار بان الجريمة التي نفذت كان قد خطط لها بعناية لكن رفض المعوق الثالث كشف الملابسات التي هم عليها ليأخذ السرد دوره في تشعبات الحركة المحورية ولملمة الخيوط المتبقية في إطارها المركزي لذا فان ((الإقناع عبر السرد يستند إلى استثارة الطاقة الانفعالية المتنوعة من خلال تصوير وضعيات إنسانية مألوفة تطمئن إليها الذات المتلقية))[27] والطاقة الانفعالية الصادرة عن شحنات السرد لا تدخل في البؤر الساردة للقصص إلا من باب الدينامية المحركة للفواعل التي تتمظهر في غيبيات الفعل لأنها تنطلق من ظاهرة الإعجاز اللغوي المهيمن على السرود الواردة في درجة كمالها المطلق ولكنها في قرار توجهاتها تكشف هما وحراكا إنسانيا مألوفا تتفاعل معه النفس بحالتها الشعورية، وهنا يصل السرد إلى ذروة الجوانب وارتقاء الشواهد والمتغيرات تصل القصة القرآنية إلى منعطف تنازلي (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)(يوسف:87) تتغير لهجة يعقوب النبي

موصولة بالرحمة بأبنائه لأنه بات يدرك الوزر الثقيل الذي تحملوه، ففعل الذهاب والتحسس كناية عن الحنو بدلالة لاتيأسوا من روح الله وهذا استدلال يوحي بالانفراج في مسار القصة وانعطافا لحلول قادمة والحركة التكوينية في قصة يوسف (ع) تؤسس لعتبة نصية متكاملة حين يتصدر المشهد القرآني وعند البوابة الاسمية للسورة باسم يوسف البطل الذي سيكابد الأحداث من طفولته متجاوزا البؤر كلها إذ يأخذ الطابع العام في قصة باتت لصيقة في ضمير الوعي الجمعي (يوسف) وما يعنيه هذا الاسم من استنفار عند الاخرين بسبب تميزه في الجمال والعفة والأمانة. إنها العنونة التي هيمنت على النص إذ أن الاسم ودلالاته المحورية تتجسد من خلال الحدث وتداعيات الحركة وفق إستراتيجية غاية في المغايرة شكلا وتكوينا ((يدشن الكون النصي فضاءات رسم الانفتاح في عمليات التدليل والتأويل)) [28] وهذا المحور يتجلى في مرحلة التكوين الشعوري للحدث.

المطلب الرابع:

الاستدلال بين التأويل والتأجيل:

لاشك أن الاستدلال القرآني يسعى الى نوعين من الوظائف أولهما الوظيفة التأويلية وثانيهما الوظيفة التأجيلية اللتين تندرجان ضمن السياق العام وانطلاقا من منظومة التفاعلات التي تأخذ على عاتقها معايرة الأنظمة السيميائية في كل حدث، لذا فإننا نعمل على إيجاد نقاط الارتكاز وتحليل مديات تفاعلها مع حركة الدلالات السردية ضمن إطار نسقي مهيمن وغالب على دوال أخرى منشغلة بتكوين البؤر الساندة للقصص القرآني وذلك يعد تخصصا ((للمحتوى الكلي الذي يتحدد من خلاله التشكل الكلي للتمثلات الدلالية للجمل المتتالية)) [29] وهي تعمل على الترابط الوثيق بين الجمل السابقة لأنها تكون موطئة لجمل قادمة في سياق السرد نفسه وتفعيل مبدأ التوالي والتوازي لانطلاق الصور الدالة وتعالقها بالمدلول التأويلي والتاجيلي،

وهما يندرجان ضمن الاستدلالات المؤجلة لحركة السرد ووصول الخواتيم الملزمة لنجاح المقاصد الحركية من لدن الأبطال الفاعلين ونقصد بالفاعلين حركة المحور المتمثلة بالنبي يعقوب (ع) وحركة الانعطاف التكويني المتمثل بيوسف عليه السلام وهناك من رفد هاتين الحركتين أمثال بنيامين وأخيه الذي رفض العودة منتظرا انجلاء الموقف. ويعد هذا الترابط في مسيرة القصص القرآني انعطافا على كل المؤثرات التحفيزية التي تكتنف السرد وتمنح المتلقي رغبة المتابعة إلى آخر المطاف، ولان المفتاح المركزي يتجاوز الدلالة إلى عملية التكوين المهيمنة على الاستدلال فان العودة لتفسير المنامات وتأويلاتها هي التي ترفد السرد بالفاعلية الممكنة (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)(يوسف:43) وهذا ثاني استدلال مركزي تتمفصل فيه البؤر وقد مر بنا الأول حين يوسف (ع) لأبيه بيان المنام الذي رآه (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)(يوسف:4) إذ مهدت الآية الكريمة حراكا في حيز السرد وتوظيف لكل الوظائف الدالة عليه بينما دلل الاستدلال الثاني بيان الملك رؤيته في البقرات السبع السمان والبحث عن تأويلات مؤجلة ستقوم بحركة لاحقة تتمفصل من خلالها عوامل الاستمرار القادمة. والحلم في سياقه العام لازمة تكوينية تسبق الحدث وتشكل مساراته المترامية وهو استدلال مؤجل يدعونا للتأويل أو التأجيل في رؤية الشكل النهائي، وهناك أدوات ربط وسطية تقوم بربط السابق باللاحق لشد الأواصر مع بعضها (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)(يوسف:36) إذ أن العناية الفائقة تجاه البطل تتمحور في مرتكزات ثابتة يكون المنام هرم دلالتها وتوقيتاتها من حيث إنها رؤيا تأويلية المعنى تأجيلية التنفيذ وكما مر بنا، ولكننا في سياق العمل السردي نشتغل عبر منظومة الاستدلال ثم التأويل

والتأجيل،وهذا ما يؤكد وجود مبدأ له خصوصياته و((أبعاده الفكرية والنفسية والفنية، وان هناك ترابطا بين زمن وقوع الأحداث وزمن السرد ومستقبل الحياة مادامت القصة مضمنة في رسالة كتب لها الثبوت والتواصل)) [30] وهذا مايضفي على القصص القرآني الحركة الفاعلة وتلقي الصور السردية واستمرار حركتها وتزاحم البؤر فيها (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)(يوسف:67) إنها الالتفاتة الجميلة لواقع الحركة الذاتية المكملة للسرد وعودة للحراك والالتحاق بالبطل وإعادة التوافق الذهني من جديد وهذا أمر داخل في ماهية الاستدلال المؤجل ولتفادي احتمالية التفكيك لثلة من الأبناء لديهم تجربة سابقة في التغييب وهذا يتعين تراكميا للمشاهد السابقة ضمن سياق الفعل الحركي إذ ترصد عدسة السيمياء العلائق الدلالية وترابط تكويناتها، وتلك رابطة تأويلية لما سيكون من نسق الارتباط إذ أن الآية السابقة أكدت معيار الحركة القادمة ليتم الاتصال بذروة السرد وبؤره المتعددة ثم الالتحاق والتفرق وصولا لمرحلة التشظي الكبرى (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(يوسف:69) وهذه أولى حالات الكشف عن الحكاية حين يعرف يوسف النبي (ع) عن نفسه لأخيه وهذا أمر طبيعي في ظل العلاقة المتينة، وهذه سمة كونية للقصص القرآني تتبنى السيمياء استكشاف ترابطها ((داخل الفضاءات الحدودية، السيرورات السيميويطيقية تشتد لأن اجتياحات دائمة من الخارج قد تمت بالفعل)) [31] ونحن في ظل ذلك نحدد المداخل الرئيسة للفضاءات ورسم حدودها بل هي حركة للسيموز المشغل لتلك السيرورات وربطها بمقدمات الحدث الأول وربط المداليل بادلتها لتتشكل لدينا صورة عما يجري من سرود والاشتغال على الأقطاب المحركة لها. والاستدلال يعبر عن تقنية الرصد لمجريات القص وانثيالاته المركزية وهذا مايقوم به المتلقي للكشف عن النسق التأويلي وصولا إلى مركز الفعل وربما يتوقع المتلقي استمرار ذلك

التأويل للإيحاء بنسق قار يتبناه التأجيل لاستكمال الحدث ومن خلال البؤر المختلفة وذلك هو جوهر الأشياء وسر ارتقائها في ظل منظومة القصص وتواتر أخبارها وتشكلاتها ثم الركون إلى استشفاف الدلالات المتبقية من النسق العام وتحويلها إلى النسق الخاص (قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ)(يوسف:89) وهو عامل صادم يخرج البواطن في جريمة ارتكبوها وهو وحده من يعلم من اجل هذا جاء الكشف مبكرا ولم تتمكن السنين العجاف ان تنسهم ذلك الحدث المرلانهم عاشوا رهائن الفعل القبيح وهم يتعرفون على يوسف (ع) (قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)(يوسف:90) وهذه من الدلالات المؤجلة التي مرت علينا في بداية القصة القرآنية وصولا لخواتيمها الحتمية عندما بدا السرد يلمح بان النهايات قد أوشكت على تسليم خيوط بؤرها ولملمة المتشظي منها وهذا يعد ضمن مدخل القدرة التأهيلية للعامل الذات وتسليط الضوء على وظيفته الرئيسة لقيادة السرد وهذه الوظيفة لايمكن أن ((تكون جاهزة إلا إذا أدركنا القدرة التأهيلية لذات العامل، فالتأهيل سابق لحركة العامل وفاعليته وهو إنما نفهمه على أساس الاختيار))[32] وهذا مايطلق عليه بالتأهيل الترشيحي الذي تؤهل القصة بطلها بكثير من العناية والإعداد والتأهيل النفسي والبدني. ويعمد السرد أيضا وضع الملامح الفاعلة للبطل والقيام بمرحلة التبني رفقة الحدث ليتاح للمتلقي فهم مراحل التطور التقني وفهم الأنماط التي ظهرت فيه حيث تتواصل الدلالات الموحية لشكل العمل السردي وتبيان عوامل نجاحه (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)(يوسف:93) وهي من الدلالات التي يقع على عاتقها إزاحة الستار عن المنعرجات الأولية التي كان يعقوب النبي (ع) يجابه بها بنيه، ومصداق ذلك الاعتقاد وبمجرد وصول الدليل يتفجر اليقين عن الحب القديم (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ)(يوسف:94)

وهذه نابعة من قناعة يعقوب النبي بادلته الاستدلالية ومعرفته بسلوك أبنائه الذي لن يتغير بدليل (لولا أن تفندون) وفعلا كان الرد مخيبا (قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ)(يوسف:95) وهو اعتراف بان المخططات والمؤامرات التي مارسوها لصرف يعقوب عن حب يوسف باءت بالفشل الذريع، وهو انتصار آخر يحققه يوسف على دوافع الغيرة والحسد، وقبل وصول القميص كان يعقوب النبي يعلن أن ريح يوسف قادمة وهو الهام تأكد فعلا من اقتراب البطل الذات من لدن الأب الحنون، عندها يلتحق اللاحق بالسابق وتنجلي المراحل في ظل صورة حركية تختزل السرد كله (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)(يوسف:100) وهذا مسح شامل لحركة القصة القرآنية وجمع شتات أبطالها وتراجع المعوقين والاعتراف بالخطأ والعجز (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ)(يوسف:97) وهنا يلملم السرد مراحله الأخيرة ويعلن أن القصة كانت عبرة لأولي الألباب يتكامل فيها السرد الدلالي من خلال ذكرت في المقتربات السابقة من البحث.

الخاتمة والنتائج:

لاشك أن للسرد بؤر ارتكازية تتمحور من خلالها عوامل ووظائف تعمل على ارتقاء القص، وما جاء في السرد القرآني من تكثيف لمشاهد السرد وبؤره إلا نوع من هذا الارتقاء في روعته ومشاهده السردية وصولا لمرحلة التبئير وغيرها من المفصلات والتركيبات المعقدة والبسيطة،إذ يندرج النص القرآني على أسلوب التلاحق في المشاهد معتمدا زاويتي التأويل والتأجيل ثم اكتمال النص بخواتيم غاية في الإبداع والإعجاز. وقد توصلنا في ضوء ذلك إلى النتائج الآتية.

1- ثمة استدلالات مؤجلة في قصة النبي يوسف عليه السلام تجلت لنا بجملة من الملامح وذلك ضمن سرود وبؤر متكاملة من خلال مدركات الصورة التأويلية وتأكيدا على البنية التكاملية للقصة وفهم التتابع القراني وتتبع اثاره الواضحة.
2- تبدت لنا ملامح المكان في القصص القرآني، وتلمسنا التوافق المحوري بين الامكنة وتعدد انماطها بما يخدم سيرورة القصة في القران الكريم.
3- رصد الحركة التكوينية للسرد والوصول إلى تجانس موضوعي للمشاهد وتزاحم البؤر السردية ضمن حدود السيموز وكشف التواجد التلقائي لها.
4- تبينت لنا أهمية الرؤية الاستقرائية ودورها في الاستدلال وما يتمخض عن التأويل من نتائج تسرع من حركة السرد واعتماد المنظومة النسقية التي تندرج عبرها البوابات الأخرى الفاعلة.
5- يشكل الحلم الرافد الرئيس في تحقق الاحداث والاستدلالات المحورية.

الهوامش:

1- مسالك المعنى، دراسة في بعض انساق الثقافة العربية. سعيد بنكراد، دار الحوار, سوريا / اللاذقية ط 1،2006م، ص30
2- البحث الدلالي عند بن سينا، دراسة أسلوبية في ضوء اللسانيات، الدكتور مشكور كاظم العوادي، مؤسسة البلاغ، دار سلوني بيروت/ لبنان (د.ط)، 2000م ص 36.
3- سيميائيات الأهواء، من حالات الأشياء إلى حالات النفس، الجيرداس.ج. غريماس تـ سعيد بنكراد، الكتاب الجديد المتحدة، بيروت/ لبنان ط 1، 2010م ص 15.
4- دينامية النص (تنظير وانجاز) د.محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء / المغرب. ط3،2006م ص 32.
5- مسالك المعنى، ص 30.
6- المصدر نفسه، ص 30

7- مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، جوزيف كورتيس، تـ د. جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف / الجزائر، ط 1، 2007م، ص69.
8- الأنظمة السيميائية، دراسة في السرد العربي القديم، د. هيثم سرحان، الكتاب الجديد المتحدة، بيروت / لبنان، ط1، 2008م، ص59.
9- التحليل السيميائي للخطاب، قراءة في حكايات كليلة ودمنة لابن المقفع، د. ناصر شاكر الاسدي, دار السياب / لندن، ط1، 2009م، ص 138.
10- ينظر: (بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / المغرب، ط3, 2000م،ص 80،
11- التحليل السيميائي للخطاب، ص 112.
12- السرد الروائي وتجربة المعنى، سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / المغرب، ط2008،1م، ص 36.
13- الخطيئة والتكفير, من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / المغرب، ط6، 2006م، ص 38.
14- ينظر:(شحنات المكان, جدلية التشكيل والتأثير، ياسين النصير, دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد، ط2011،1م، ص 47.
15- قضايا الرواية الحديثة، جان ريكاردو، تـ صياح الجهم، سوريا / دمشق، ط1، 1977م، ص147.
16- بنية النص السردي، ص 70.
17- تحليل الخطاب السيميائي، ص 102.
18- العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، امبرتو ايكو، تـ سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / المغرب، ط2007،1م،ص 207.
19- مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ص 25.
20- سيمياء الكون، يوري لوتمان، تـ. عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء / المغرب، ط1, 2011م، ص25.
21- ينظر: (دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني، الدكتور عامر السعد، شركة الغدير, العراق / البصرة، ط2015،1م، ص 168.
22- من النسق إلى الذات، د.عمرمهيبل, الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف / الجزائر،ط1، 2007م، ص 44.

23- آليات إنتاج النص الروائي، نحو تصور سيميائي، عبد اللطيف محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف / الجزائر, ط1، 2008م، ص 90.
24- بنية النص السردي، ص 74.
25- المصدر نفسه، ص 74.
26- مسالك المعنى، ص 87.
27- في نظرية العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، د. خالد حسين حسين، دار التكوين, دمشق، ط2007،1م، ص 175.
28- قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / المغرب،ط1997،1م، ص29.
29- دلالة الأنساق البنائية، ص 209.
30- سيمياء الكون، ص 59.
31- التحليل السيميائي للخطاب، ص 38 .

المصادر والمراجع

القران الكريم
1- آليات إنتاج النص الروائي نحو تصور سيميائي، عبد اللطيف محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر/بيروت، ط1، 2008م.
2- الأنظمة السيميائية دراسة في السرد العربي القديم، د.هيثم سرحان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي / ليبيا،ط1، 2008م.
3- البحث الدلالي عند بن سينا دراسة أسلوبية في ضوء اللسانيات، الدكتور مشكور كاظم العوادي، مؤسسة البلاغ، دار سلوني، بيروت /لبنان، ط2003،1م.
4- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء / المغرب، ط3، 2000م.
5- التحليل السيميائي للخطاب قراءة في حكايات كليلة ودمنة لابن المقفع، الدكتور ناصر شاكر الاسدي، دار السياب / لندن،ط2009،1م.
6- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، عبد الله الغذامي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / المغرب، ط6، 2006.
7- دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني، الدكتور عامر السعد، الغدير للطباعة، العراق / البصرة، ط1، 2015م.

8- دينامية النص (تنظير وانجاز)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء / المغرب،ط 3، 2006م.
9- السرد الروائي وتجربة المعنى،سعيد بنكراد المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / المغرب، ط1، 2008م.
10-سيمياء الكون، يوري لوتمان، تـ عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / المغرب، ط1. 2011م.
11- سيميائات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، الجيرداس. ج. غريماس، تـ سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي / ليبيا، ط2010،1م.
12-شحنات المكان، جدلية التشكيل والتأثير، ياسين النصير, دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد، ط1، 2011م.
13-العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، امبرتو ايكو، تـ سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء / المغرب، ط2007،1م.
14-في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، د. خالد حسين حسين، دار التكوين، دمشق (د.ط)، 2007م.
15-قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / المغرب، ط1، 2006م.
16-قضايا الرواية الحديثة، جان ريكاردو، تـ صياح الجهم، سوريا / دمشق،ط1، 2006م.
17-مسالك المعنى دراسة في بعض انساق الثقافة العربية، سعيد بنكراد، دار الحوار، اللاذقية / سوريا، ط1، 2006م.
18-مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، جوزيف كورتيس، تـ، د. جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر/ بيروت، ط1، 2007م.
19-من النسق إلى الذات، د. عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر / بيروت، ط1، 2007م.